ألسادية- المازوشية. . . اسطورة في الطب النفسي

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSudadSadoMaso&Psy.pdf

د. سداد جواد التميمي *
استشاري أمراض النفس - كاردف. المملكة المتحدة
sudad.jawad@btinternet.com

لا شك ان حياة " **الماركيز دي ساد** Marquis De Sade " ادناه تستحق بعض التوضيح حتى يتسنى إلقاء الضوء على استعمال مصطلح "**السادية–المازوشية**" في الطب النفسي. السادية المازوشية هما وجهان لمسكوكة معدنية و احدة، و يصعب الفصل بينهما.

اصبح اسم هذا الماركيز رمزاً للممارسات الجنسية الغريبة و الشاذة. هذا الرجل ترى اسمه يتصدر تعبير السادية و تعبير السادية –المازوشية. المازوشية مشتقة من كاتب نمساوي مغمور من القرن التاسع عشر كتب عن الشعور بالمتعة الجنسية مع الالم. مع الأيام اصبحت **السادية–المازوشية** مرتبطة بكل شيء من الشعور بالإغراء من جراء مشاهدة ملابس نساء داخلية، رسم الوشم بعد الاخر على الجسد، الى ثقب الانف و اللسان و الشفة اضافة الى الاذنين. ينتهي المطاف بان هذا التعبير اصبح يطلق على كل ما يمكن تفسيره تجربة مؤلمة او تحقير للذات يمر بها الفرد بدون صدور تفاعل مضاد من قبله.

مشكلة مصطلح "**المازوشيـــــــة**" مصدرها اللغة المتداولة بين المختصين في علم النفس و الطب النفسي. هذه المصطلحات ظهرت بفضل المدرسة التحليلية الفرويدية و اضافت اليها ابنته و السيدة ميلاني كلاين في القرن العشرين. هذه اللغة و مصطلحاتها تبدوا احياناً و كان مصدرها ليس كوكب الرض و انما من الفضاء الخارجي. اشتقت بعض المصطلحات من الادب القصصي و المسرحي و الاساطير اليونانية و من ثم تم حشرها في علم النفس. عشق المولعين بعلوم النفس هذه اللغة لأنها خاصة بهم و لا يفهمها الكثير و **تصوروا انفسهم انهم على عرش الثقافة الانسانية الى حد الشعور بالعظمة و تملكهم لتفسير السلوك البشري و حل مشاكله.**

الاستعمال اللغوي الحديث:

ان استعمال مصطلح "**المازوشيـــــــــــة**" في اللغات اللاتينية قاطبة هذه الايام

مع الأيام اصبحت السادية-المازوشية مرتبطة بكل شيء من الشعور بالإغراء من جراء مشاهدة ملابس نساء داخلية، رسم الوشم بعد الاخر على الجسد، الى ثقب الانف و اللسان و الشفة اضافة الى الاذنين. ينتهي المطاف بان هذا التعبير اصبح يطلق على كل ما يمكن تفسيره تجربة مؤلمة او تحقير للذات يمر بها الفرد بدون صدور تفاعل مضاد من قبله

عشق المولعين بعلوم النفس هذه اللغة لأنها خاصة بهم و لا يفهمها الكثير و تصوروا انفسهم انهم على عرش الثقافة الانسانية الى حد الشعور بالعظمة و تملكهم لتفسير السلوك البشري و حل مشاكله.

استعمال مصطلح

هو **المضاد للعدوان** فقط لا غير. بعبارة اخرى يستعمل هذا المصطلح جزافاً لوصف انسان على بعد العدوان. ان كان سلوكه يتصف بالعنف نسميه عدوانياً و ان كان يميل الى الهزيمة و التقشف نسميه مازوشياً. هناك من يقول ان قبول الشعوب بإجراءات التقشف الصارمة تؤكد مازوشية الشعب كما هو الحال في ايرلندا، اما الصخب الذي صاحب التقشف في اليونان يكشف عن العداء و هلم جرا. كان هذا المصطلح الغريب يطلق على الشعوب التي تخضع لسلطة طغيان و دكتاتورية و منها الاقطار العربية و الاسلامية. لا يتوقف الامر هنا، و هناك حتى من يصنف جزافاً العنف الذي يصاحب مشجعي الرياضة و خاصة كرة القدم على هذا البعد.

اما في مجال الادب العالمي و خاصة المسرحي فلا نهاية لاستعمال هذا التعبير لوصف علاقة عاطفية شهوانية قوية الدفع بين الرجل و المرأة. يمكن تتبع ذلك في الكثير من الانتاجات القديمة و الحديثة و اخرها فينوس في كساء الفرو Venus in Furفي عام 2011.

اما في المجال الطبي فان استعمال اليوم فهو أكثر عشوائية من اعلاه و طالما يعني على عدم قدرة المرأة بالذات من الخروج من علاقة زوجية تتميز بالعنف العائلي و السبب في ذلك وجود علاقة جنسية ناجحة. عندها يقول الطبيب النفسي بان هناك علاقة سادية مازوشية Sadomasochistic Relationship تمنع المرأة من الهرب. بالطبع هذا غير صحيح و لا يأخذ بنظر الاعتبار الظروف الاقتصادية البائسة لربات البيوت و هذا هو الحال مع البعض من نساء العالم العربي.

الاستعمال الأقل شيوعاً هو المازوشية بمفردها.، و اليوم يميل الى كثرة الشعور بالذنب المفرط و تجنب العداء. لا تخلوا الطقوس الدينية في الاديان السماوية و غيرها من الحاق الاذى بالنفس البشرية و هنا يتدخل عالم النفس و يطلق على هذه الممارسات مصطلح المازوشية.

<u>الماركيز دي ساد:</u>

ولد دونتيان الفونسو فرانسوا دي ساد في عام 1740 في عائلة ارستقراطية فرنسية،

"المازوشيـــة" في اللغات اللاتينية قاطبة هذه الايام هو المضاد للعدوان فقط لا غير

في مجال الادب العالمي و خاصة المسرحي فلا نهاية لاستعمال هذا التعبير لوصف علاقة عاطفية شهوانية قوية الدفع بين الرجل و المرأة

في المجال الطبي فان استعمال اليوم فهو أكثر عشوائية من اعلاه و طالما يعني على عدم قدرة المرأة بالذات من الخروج من علاقة زوجية تتميز بالعنف العائلي و السبب في ذلك وجود علاقة جنسية ناجحة.

لم تكن سيرة دي ساد تختلف كثيراً عن سيرة الكثير من ابناء العائلات الارستقراطية و البرجوازية حتى في يومنا هذا

كانت حجة دي ساد بان زوجته ذات رغبة جنسية ضعيفة و لا رغبة لها اصلاً في العمل الجنسي. هذه حجة ازلية

و كان الابن الوحيد لاب يقال انه كان ثنائي التوجه جنسياً و كثير العلاقات الجنسية خارج عش الزوجية. اما والدته فكانت مشغولة بعلاقاتها الاجتماعية و لقاءات الطبقة الارستقراطية و تركت رعايته لجدته. رغم كل ذلك لم تكن طفولته غير سعيدة و تلقى تعليمه تحت اشراف اب يسوعي.

لا شك ان غياب الاب و الام كان عاملاً في نضوجه الجنسي الاجتماعي المبكر و بداية علاقة مع احدى عشيقات والده في عمر الثالثة عشر. لم يفقد دي ساد عذريته من خلال هذه العلاقة، و تم الحاقه بالمدرسة العسكرية الفرنسية في عمر الرابعة العشر، و من ثم شارك في حرب الاعوام السبعة مع فيلق الفرسان و هو في الخامسة عشر من العمر. اثناء عودته الى البيت خلال اجازة من الحرب فقد عذريته بمساعدة امرأة من اقاربه، و كانت تلك بداية ولعه بالعلاقات الجنسية مع العديد من النساء و ذيوع شهرته في هذا المجال. لا شك ان غياب الوالدين و الحرب لعبا دورهما في ادمانه على العلاقات الجنسية.

لم تكن سيرة دي ساد تختلف كثيراً عن سيرة الكثير من ابناء العائلات الارستقراطية و البرجوازية حتى في يومنا هذا، و تراه عندما قرر ان يرتبط زوجياً في عمر الثالث و العشرين لم يختار الا فتاة غنية اسمها رينية-بيلاجي دي مونترو Renee-Pelagie de Montreuil. اشتهرت هذه الفتاة بكل شيء الا بجمالها مما اثار عجب والده في اختياره لهذه الصفقة على حد قوله.

قد يغير الزواج الكثير و لكن هناك مما لا يغير من سيرته طوال عمره و بالذات مع النساء. كانت حجة دي ساد بان زوجته ذات رغبة جنسية ضعيفة و لا رغبة لها اصلاً في العمل الجنسي. هذه حجة ازلية يتحجج بها الكثير من الرجال، و عاد الشاب الى سيرته القديمة و اشتهر سلوكه بين الفتيات الباريسيات. هنا تدخلت ام زوجته بعد ما سمعت بفسوق دي ساد و سيرته في بيوت الدعارة الباريسية و بدأت تنشر سيرته الفاسدة مضيفة اليها تهمة الالحاد و الكفر. كان دي ساد مقرباً الى الملك لويس الخامس عشر و حاول الاخير حمايته قدر الامكان من غضب الطبقات المحافظة التي صممت على القضاء عليه لهول ما فعل مع الكثير من فتياتهم. تم القائه بين القضبان بين الحين و الاخر و لم يتوقف الصراع بينه و بين ام زوجته. كان اسوأ ما فعله انتقامه من ام زوجته بإقامة علاقة جنسية مع الاخت

يتحجج بها الكثير من الرجال

كان اسوأ ما فعله انتقامه من ام زوجته بإقامة علاقة جنسية مع الاخت الصغرى لزوجته. لا احد يعلم ان كان هذا فعل انتقامي من جانبه ام امتداد لسلوكه و شهرته بين النساء

اضاف الكثير على سيرة دي ساد و معظم مما كتب عنه مشكوك في صحته و من نسيج الخيال، و عن طريق هذه الادبيات الخيالية ادخل فرويد هذا المصطلح في علم النفس.

العجيب في جميع ذلك هو رسائله الى زوجته و هو في السجن حيث كشف عن ازمته النفسية المزمنة و هي فشله في القذف اثناء العملية الجنسية و كثرة شعوره بالألم من جراء ذلك

ان السادية – المازوشية التي يتحدث عنها فرويد عن لذة الشعور بالألم مع الممارسة الجنسية كثيرة

الصغرى لزوجته. لا احد يعلم ان كان هذا فعل انتقامي من جانبه ام امتداد لسلوكه و شهرته بين النساء، حيث كانت الفتاة على مستوى عالي من الذكاء و الجمال. انتصرت حماته و تم سجنه بين جدران الباستيل لمدة ثلاثة عشر عاما في عام 1777. اما ما يثير العجب هو عدم توقف زوجته رينية عن زيارته في السجن و مساندته و غفرانها له.

خرج من السجن عام 1790، ليعود مع زوجته، و لكن كان لحماته تخطيطاً أخر، و نجحت في اجبار ابنتها على الحصول على الطلاق منها تفادياً لزجه في الباستيل ثانية.

عاش دي ساد الى عام 1814 و قضى اكثر من عشرين عاماً في حياة سعيدة مع امرأة عُرفت برقتها و جمالها و توقف عن المغامرات النسائية.

هنا يكمن الغموض على دخول تعبير السادية _المازوشية في الطب النفسي و ما هي الحقيقة و ما هو حجم الخيال في هذا البعد النفسي؟. اضاف الكثير على سيرة دي ساد و معظم مما كتب عنه مشكوك في صحته و من نسيج الخيال، و عن طريق هذه الادبيات الخيالية ادخل فرويد هذا المصطلح في علم النفس. تطرقت هذه الادبيات الى ولعه بالألم و ايقاع الالم جنسياً بغيره. لكن سيرته الحقيقية غير ذلك و علاقاته الجنسية لم تكن فاشلة ايامها. لم تتوقف زوجته عن زيارته و هو في السجن و وقفت بجانبه. غير ان العجيب في جميع ذلك هو رسائله الى زوجته و هو في السجن حيث كشف عن ازمته النفسية المزمنة و هي فشله في القذف اثناء العملية الجنسية و كثرة شعوره بالألم من جراء ذلك مما يثير التساؤل عن قوة اندفاعه الجنسية و ربما انه كان رجلاً عذب اللسان فقط و ليس بالناجح تماماً في حياته الجنسية.

ان السادية – المازوشية التي يتحدث عنها فرويد عن لذة الشعور بالألم مع الممارسة الجنسية كثيرة الافراط في الخيال و ربما مجرد اسطورة اصبحت وهماً يعتقد فيه الناس و علماء النفس على حد سواء.

ألشخصية المازوشية:

لا توجد هناك شخصية مازوشية بكل معنى الكلمة طبياً يمكن وصف اي فرد بها هذه

الافراط في الخيال و ربما مجرد اسطورة اصبحت وهماً يعتقد فيه الناس و علماء النفس على حد سواء

لا توجد هناك شخصية مازوشية بكل معنى الكلمة طبياً يمكن وصف اي فرد بها هذه الايام، و انما يطلق هذا المصطلح اعتماداً على نظرية الشخصية لدراسات ويلهيلم رايخ

الفكرة السابقة حول السلوك المازوشي استناداً الى فرويد ان هؤلاء الاشخاص لذتهم تعذيب انفسهم

على ضوء كتابات فرويد فان المازوشية مشتقة اساساً من السادية و بالذات رغباتهم المكبوتة في التسلط على الاخرين. تلك الرغبات لا تؤدي الا الى الشعور بالذنب و لا بد من كبتها. من جراء ذلك يتحول الإنسان دفاعياً الى العكس تماماً مستسلماً الى

الايام، و انما يطلق هذا المصطلح اعتماداً على نظرية الشخصية لدراسات ويلهيلم رايخ Wilhelm Reich ألذي توفي في 1957. سلوك هذه الشخصية يتميز بالمعاناة و الشكوى و التدمير و اهانة النفس بطرق غايتها تحفيز الاخرين اولا و من ثم تعذيبهم.

كانت الفكرة السابقة حول السلوك المازوشي استناداً الى فرويد ان هؤلاء الاشخاص لذتهم تعذيب انفسهم. على ضوء كتابات فرويد فان المازوشية مشتقة اساساً من السادية و بالذات رغباتهم المكبوتة في التسلط على الاخرين. تلك الرغبات لا تؤدي الا الى الشعور بالذنب و لا بد من كبتها. من جراء ذلك يتحول الإنسان دفاعياً الى العكس تماماً مستسلماً الى تسلط الاخرين عليه. هذا المنطق الخاطئ لا يعتمد عليه و تم حفظه في ارشيف النظريات التحليلية التي لا تستند على اسس علمية.

لا يتوقف امر الشخصية على ضوء كتابات رايخ عند هذه العتبة و انما يتجاوزها الى ان الدافع الرئيسي لهذا السلوك هو عدم استطاعة الانسان تلبية احتياجاته العاطفية و التخلص من عقد عصابية مطوقة بالشعور الهائل بالذنب الذي يمنعه من الشعور بالحب و المتعة في هذه الدنيا. من جراء ذلك يمارس الفرد المازوشي سلوكه لإشباع نفسه كما يسرف البعض في تناول الطعام بشراهة و بدون متعة. اما العمل الجنسي فلا يشعرون بمتعة فيه الا اذا كانت المرأة لا تبالي بهم تماماً او مصحوب بخيال ذهني محتواه الاغتصاب.
رغم ان هذا التحليل و المصطلح اقرب الى الواقع و اكثر اتصالاً بالاستعمال اللغوي الحديث و لكنه ايضاً لا يعتمد على بحوث علمية ميدانية حديثة تستند على اسس علمية احصائية.
على ضوء ذلك يمكن القول بان من الاحوط عدم استعمال هذا المصطلح في التواصل بين المعالج النفسي و من يستشيره.

المازوشية الجنسية طبياً:

التعبير الطبي لـــ"**المازوشية الجنسية**" يعني الشعور بالمتعة الجنسية من جراء الحاق الالم بالنفس من جراء عمل الفرد نفسه او الاخرين. يتميز هذا الخطل الجنسي باشتراك الرجال و النساء فيه على عكس معظم أنواع الخطل الجنسي الاخرى، و لكن هل هو حقاً مرضاً نفسياً ستحتفظ به الجمعية الامريكية للطب النفسي في مجلدها الخامس العام المقبل؟.

تسلط الاخرين عليه. هذا المنطق الخاطئ لا يعتمد عليه و تم حفظه في ارشيف النظريات التحليلية التي لا تستند على اسس علمية.

يمارس الفرد المازوشي سلوكه لإشباع نفسه كما يسرف البعض في تناول الطعام بشراهة و بدون متعة. اما العمل الجنسي فلا يشعرون بمتعة فيه الا اذا كانت المرأة لا تبالي بهم تماماً او مصحوب بخيال ذهني محتواه الاغتصاب

التعبير الطبي لـ"المازوشية الجنسية" يعني الشعور بالمتعة الجنسية من جراء الحاق الالم بالنفس من جراء عمل الفرد نفسه او الاخرين

هل هو حقاً مرضاً نفسياً ستحتفظ به الجمعية الامريكية للطب النفسي في مجلدها الخامس العام المقبل؟.

السادية الجنسية" خبياً تتعلق بالمتعة الجنسية من

تؤكد الكثير من البحوث العلمية بان 5-10 % من الرجال و النساء قد يجربون هذه اللعبة من اجل التسلية الجنسية، و ما هي الا مجرد فعالية جنسية حميدة و عبث لا يخص الاخرين. اما البعض فيقول بان هذه الممارسات قد تتطور مع الوقت و تلحق الاذى بالإنسان و لا بد من تصنيفها مرضياً. ان الرأي الاخير لا يستند على اية دراسات علمية ابداً، و لا يوجد اي دليل علمي بان هناك علاج لمثل هذا السلوك الغير مرضي اصلاً.

السادية الجنسية طبياً:

"**السادية الجنسية**" طبياً تتعلق بالمتعة الجنسية من جراء الحاق الاذى النفسي او الجسدي بالشريكة الجنسية. تكمن مشكلة هذا السلوك شانه شان المازوشي، بوجوده ضمن السلوك الجنسي الطبيعي و باتفاق الطرفين. غير ان جرائم الاغتصاب تضيف بعد اخر على هذا السلوك على عكس المازوشية الجنسية.

مرتكبي جريمة الاغتصاب هم افراداً لا علاقة لهم بالطب النفسي و شخصياتهم معادية للمجتمع. معظم جرائم الاغتصاب لا تحتوي على سلوك سادي غير ان مرتكبي الجريمة طالما يقولون بانهم خيالهم يحتوي على الكثير من هذا الافكار منذ اعوام المراهقة في محاولة لتبرير جريمتهم. الحقيقة الاخرى بان البحوث اثبت بان 30% من الرجال تخيلوا يوماً ما ممارسة عمل سادي مع أمرأه، و لكن ذلك مجرد خيال لا يدخل حيز الواقع.

الاستنتاج:

1 ان فكرة السادية _ المازوشية مشتقة من قصة تم تحويرها و نسجها مع الكثير من الخيال.

2 لا وجود لشخصية سادية – مازوشية.

3 موقع الاضطراب الجنسي المازوشي طبياً ضعيف للغاية و حتى ان تم الاحتفاظ به مستقبلاً فان لا فائدة من استعماله مهنياً.

4 ان الاضطراب الجنسي السادي و علاقته بجرائم الاغتصاب مشكوك فيه، و ان هذه الفعل الإجرامي من اختصاص القانون لا الطب النفسي. ان العلاج النفسي و الطبي لمرتكبي هذه الجرائم لا فائدة منه.

5 تكثر مواقع الكترونية عربية اباحية من تضليل الشباب حول المازوشية و لا بد من توعيتهم حول حقيقة هذا الامر.

جراء الحاق الاذى النفسي او الجسدي بالشريكة الجنسية

معظم جرائم الاغتصاب لا تحتوي على سلوك سادي غير ان مرتكبي الجريمة طالما يقولون بانهم خيالهم يحتوي على الكثير من هذا الافكار منذ اعوام المراهقة في محاولة لتبرير جريمتهم

البحوث اثبت بان 30% من الرجال تخيلوا يوماً ما ممارسة عمل سادي مع أمرأه، و لكن ذلك مجرد خيال لا يدخل حيز الواقع

ان فكرة السادية _ المازوشية مشتقة من قصة تم تحويرها و نسجها مع الكثير من الخيال

موقع الاضطراب الجنسي المازوشي طبياً ضعيف للغاية و حتى ان تم الاحتفاظ به مستقبلاً فان لا فائدة من استعماله مهنياً

ان الاضطراب الجنسي السادي و علاقته بجرائم الاغتصاب مشكوك فيه، و

ان هذه الفعل الإجرامي من اختصاص القانون لا الطب النفسي. ان العلاج النفسي و الطبي لمرتكبي هذه الجرائم لا فائدة منه

المصـــــــــــادر:

Francine Du Plessix Gray (2001). At home with Marquis De Sade: A life. Simon and Schuster.

Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorder HV TR. 2000

*** *** ***

2012/06/13 - 2002/06/13

" الشبكة تدخل عامها العاشر...حصاد تسع سنوات"

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyApn9YearsAgo.pdf

*** *** ***

الشبكـــــة: الاشتراك و الخدمات و خيارات الدعم المتاحة

www.arabpsynet.com/Documents/ApnSubscription.pdf

*** *** ***

واقـــع و مستقبـــل "شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة"

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyCallDialogueAboutAPN.pdf

*** *** ***

ARABPSYNET PRIZE 2012

جائـزة البروفيســور مالك بدري لشبكـة العلـوم النفسيـة العربيـة 2012

pdf.2APNprize201/2www.arabpsynet.com/Prize201

*** *** ***

في الذكرى العاشرة لتأسيسها (2013) تسعى الشبكة لتكريم مجموعة من العلماء بلقب :

" الراسخـــــون فـــــي العلـــــوم النفسيـــــة"

www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf